

ألف حكاية وحكاية (١١٢)

عقلك فوق زجاج سيارة

وحكايات أخرى

تأليف

يعقوب الشارونى



رسوم

نسيم

الناشر

مكتبة مصر

سعيد جودة السحار وشركاه

٣ شارع كامل صدقى - الفجالة

ت : ٥٩٠٨٩٢٠

الأطفال يتنقلون فوق العمارات

سألوا طفلاً : " كيف تحلُّ مشكلةَ الزحمةِ فى الشوارعِ ؟ "

فرسمَ مجموعةً من العماراتِ العاليةِ ، وبينَ كلِّ سطحِ عمارةٍ وأخرى لَوْحُ خشبىٌ طويلٌ (سِقالة) ، انطلقَ فوقها طابورُ الأطفالِ ، يتنقَّلونَ بسعادةٍ وحريةٍ فوقَ أنحاءِ المدينةِ ، بعيدًا عن مخاطرِ السياراتِ وهواءِ الشوارعِ المُلَوَّثِ .

قالوا لهم : " لكنَّ الطفلَ قد يقعُ وهو يعبرُ من فوقِ عمارةٍ إلى أخرى ، فالسقائل ليسَتْ عريضةً ، ولا سورَ لها . "

قالَ الأطفالُ : " الكبار هم الذين يسقطون !! أما الأطفالُ ، فهم خُبَراءُ فى حفظِ التوازنِ فوقَ الأماكنِ العاليةِ ، وعلى القناطرِ الخشبيةِ الرفيعةِ !! "

هذا ما تقولُهُ إحدى اللوحاتِ المعروضةِ فى معرضِ رسومِ كتبِ الأطفالِ ، فى معرضِ بولونيا الدولىِّ لكتبِ الأطفالِ ، من رسمِ فنانِ كاريكاتيرٍ عالمىٍّ ، خصَّصَ المعرضُ جناحًا كاملاً لإنتاجِهِ ، منذُ رسمَ أولَ قصةٍ بالرسومِ المُسلسَلةِ وعمرُهُ اثنتا عشرة سنةً ، إلى أن أصبحَ الآنَ متخصصًا فى رسمِ برامجِ أسطواناتِ الكمبيوتر (C D) .

وإذا كانَ الناشرون من قاراتِ العالمِ الخمسِ ، هم الذين

يقدِّمونَ فى كلِّ عامٍ الجديدَ و المُبتكَرَ فى عالمِ كتبِ الأطفالِ ، فإن المُشرِفينَ على المعرضِ،هم الذين يقدِّمونَ للرسَّامينَ من فنانى كتبِ الأطفالِ ، كلَّ إمكانياتِ تبادلِ الخبراتِ ، فى شكلِ ورشِ عملٍ ، تتميَّزُ بالجديَّةِ وارتفاعِ المستوى .



هل الطائرة لها ريش

فى لقاءٍ مع عددٍ من مُشرِفاتِ الحضانةِ ، استمعْتُ إلى بعضِ الأسئلةِ التى يسألُها الأطفالُ ، الذين تقلُّ أعمارُهم عن خمسِ سنواتٍ ، وأرجو أن تستمعوا معى إلى بعضِ هذه الأسئلةِ :

قالَ طفلٌ اعتادَ أن يُلقِىَ كثيرًا من الأسئلةِ : " ما هو شكلُ الشيطانِ؟ وأين يوجَدُ ؟ ولماذا يجعلُنا نعملُ الأعمالَ السيئةَ ؟"

وقالَ طفلٌ آخرُ : " أنا شُفْتُ فى التليفزيون رجلاً ضعيفًا ، أخذَ حقنةً فأصبحَ قويًّا .. أريدُ أن آخذَ حقنةً مثلَهُ فأُصبِحَ قويًّا ، لكى لا تضربَنى ماما عندما أرفضُ الأكلَ . "





وقالَ طفلٌ ثالثٌ: " شاهدْتُ هرقل في التليفزيون يُحاربُ ولا يموتُ أبدًا .. أريدُ أن أكونَ مثلَ هرقل ، وألبس ملابسَهُ. "

وسألَ طفلٌ رابعٌ: " هل يوجَدُ بحرٌ فوقُ في السماءِ يأتي منه المطرُ ؟ "

وسألَ طفلٌ خامسٌ: " كيف يدخلُ الناسُ الطائرة ، وأنا أراها صغيرةً جدًّا ؟ وهل صحيحٌ أنه يوجَدُ بها مطبخٌ وحمّامٌ؟ وهل لها ريشٌ مثلُ الحمامةِ تطلعُ به فوقُ في السماءِ ؟ "

واعتادَ طفلٌ سادسٌ أن يسألَ: " لماذا لا توجَدُ عندنا سيارةٌ أجيءُ بها مع أمي إلى الحضانةِ ؟.. عندما أكبُر ، أهمُّ شيءٍ أن تكونَ عندي سيارةٌ كبيرةٌ أتنزّهُ بها !! "

عالم من الكرتون

أطفالٌ من عمرِ أربعِ سنواتٍ إلى اثْنَتَيْ عشرة سنَةً ، أمامَهم أكوامٌ من علبِ تعبئةِ البضائعِ ، المصنوعةِ من ورقِ الكرتون بلونِهِ البنّيِّ ، و مجموعةٌ من برطماناتٍ حافلةٍ بالألوانِ ، وفُرَشٌ عريضةٌ للرسمِ ، ومِقَصَّاتٌ ، و قاطعاتُ ورقٍ .

وفى نهايةِ يومٍ من أيامِ معرضِ بولونيا الدوليِّ لكتبِ الأطفالِ بإيطاليا ، ذهبْتُ إلى " ركنِ الأطفالِ " ، فلم أعرف المكانَ الذى رأيتُه فى الصباحِ .

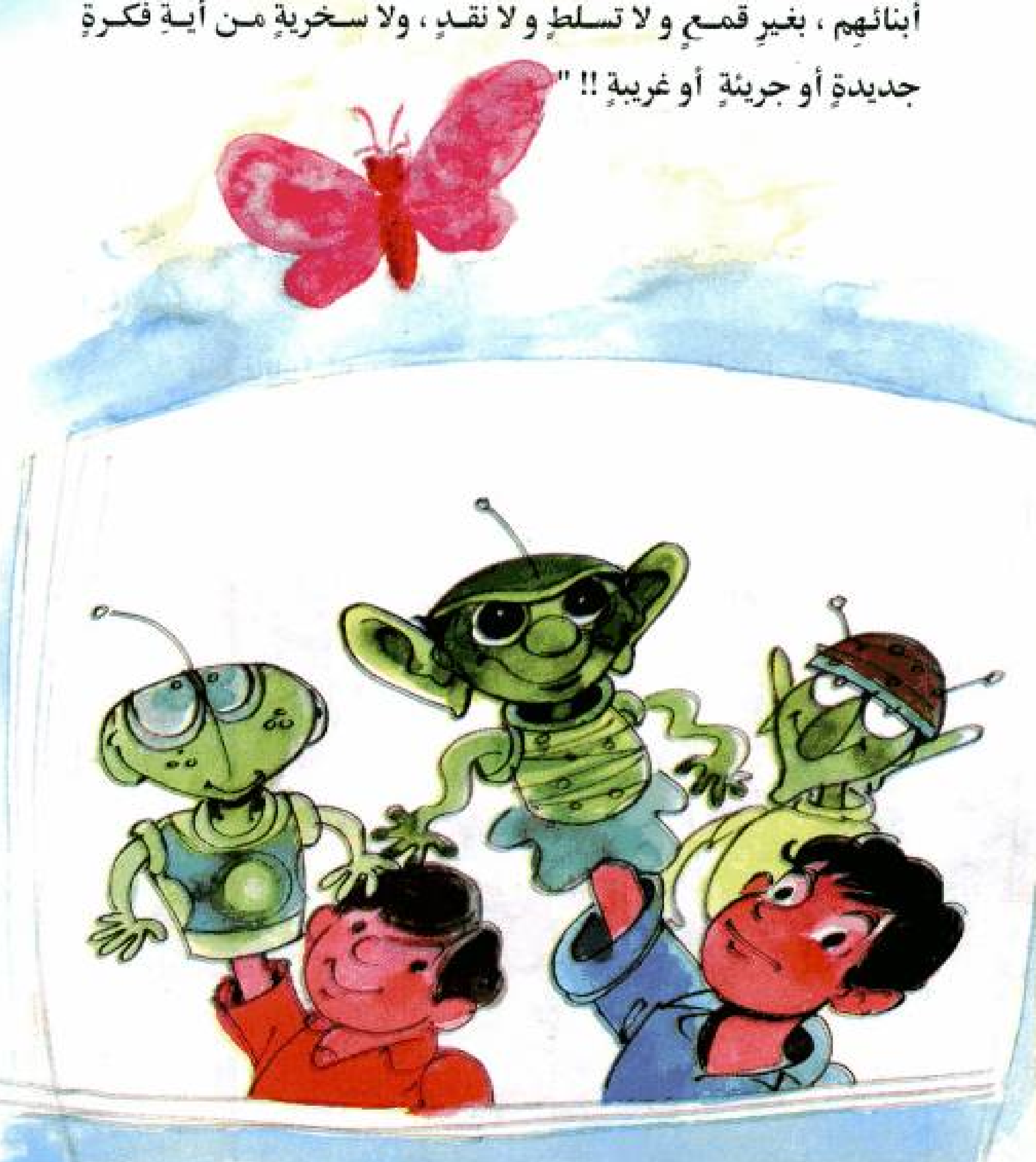
لم أجدْ أكوامَ العُلَبِ ، بل وجدْتُ عالمًا من الإثارةِ و الدهشةِ : أقنعةً على شكلِ قططٍ تضحكُ ، و شمبانزى يبكى ، و مهرّجًا يقفُ على رأسِهِ ، و طيورًا خرافيةً .

رأيْتُ بيوتًا نوافذُها وأبوابُها وجوهٌ مندهشةٌ أو حالمةٌ .

وأمامَ حاجزٍ حافلٍ برسومِ فراشاتٍ بألوانٍ ساطعةٍ ، وقفْتُ أتابعُ الأطفالَ ، وهم يقدّمونَ مسرحيةً بعرائس أبطالُها مخلوقاتٌ فضائيةٌ ، لا تتوقّفُ عن إلقاءِ الأسئلةِ !!

ثم وجدْتُ قلعةً تعلوها أجهزةٌ فضائيةٌ ، و كوبرى على نهرٍ تسبحُ فيه عرائسُ البحرِ وفى رؤوسها أجهزةُ إرسالٍ .

سألْتُ : " كم تكلَّفَ كلُّ هذا ؟ " قالوا : " لا شيءَ .. العلبُ من مخلفاتِ " السوبر ماركت " . أما الألوانُ و الفُرَشُ ، فهي هدايا من آباءٍ و أمهاتٍ ، يحرصونَ على تنميةِ الخيالِ و الإبداعِ و الابتكار عند أبنائهِم ، بغيرِ قمعٍ و لا تسلُّطٍ و لا نقدٍ ، ولا سخريةٍ من أيةِ فكرةٍ جديدةٍ أو جريئةٍ أو غريبةٍ !! "



عقلك فوق زجاج سيارة

" لا تنظرْ لى بعينٍ رديةٍ ، بل انظرْ لى بعينٍ راضيةٍ - هذه الحلوةُ اسمُها جمالات - ترجعُ بالسلامةِ يا حبيبى " . هذه بعضُ العباراتِ التى نقرؤها هى وأمثالَها على جوانبِ ، أو فوقَ زجاجِ ، بعضِ سياراتِ الأجرةِ أو النقلِ فى شوارعِ القاهرةِ .

والآنَ تعالَوْا نتأمَّلْ بعضَ العباراتِ التى جذبَتِ انتباهى بشدةٍ ، قرأتُها مكتوبةً فوقَ زجاجِ عددٍ كبيرٍ جداً من سياراتِ نيويورك وواشنطن :

" كلُّنا عائلةٌ واحدةٌ تظلِّلُنا سماءٌ واحدةٌ - التسامحُ أن ترى



بقلبكَ بدلَ أن ترى بعينِكَ - عقلُكَ أقوى ما عندك من قوةٍ - كلُّ فردٍ يكسبُ إذا عملَ مع فريقٍ - أهمُّ أدواتِ النجاحِ أن تؤمِنَ بأنك ستنجحُ - فكِّرْ فيما هو صوابٌ ولا تفكِّرْ فيمن هو الذى على صوابٍ - لن تعرفَ أبدًا قوةَ قدرتِكَ إلا إذا تحوَّلتِ الأقوالُ إلى أفعالٍ - فى عالمٍ ملآنَ بالأتباعِ حاولْ أن تكونَ قائدًا - حياتُكَ لا تنتهى إذا خسرْتَ .. إنها تنتهى إذا أصابَكَ اليأسُ . "

رأيْتُ هذه العباراتِ و أمثالَها مكتوبةً بالألوانِ ، و بخطٍّ واضحٍ ، وأحيانًا مع رسومٍ جذَّابةٍ ، وبهذا جعلوا من السياراتِ التى يراها الكبارُ و الصغارُ آلافَ المراتِ كلَّ يومٍ ، وسيلةً دائمةً لبناءِ الإنسانِ ، و للتنشئةِ الاجتماعيةِ السليمةِ .



دراجة فى طرقات المطار

صاحَ الطفلُ عندما شاهدَ موظفَ المطارِ يركبُ الدراجةَ الصغيرةَ : " هذه للأطفالِ .. أريدُ ركوبَ الدراجةِ . "

وحاولَتِ الأمُّ إسكاتَ ابنِها الذى لا يزيدُ عمرُهُ عن أربعِ سنواتٍ ، لكنَّ الابنَ جرى ناحيةَ الرجلِ صاحبِ الملابسِ الرسميةِ الأنيقةِ القاتمةِ اللونِ ، وأمسكَ بالدراجةِ وهو يهتفُ قائلاً : " أريدُ أن ألعبَ بها .. " ذلك أن كلَّ مَنْ يعملون فى مطارِ فرانكفورت الدولىِّ ، يستخدمونَ دراجاتٍ مُنخفِضةً ، للتنقُّلِ بين أجنحةِ الركابِ المتسعةِ الكثيرةِ .



وأمامَ صيحاتِ الطفلِ ، ظهرَ شيءٌ من الحيرةِ على وجهِ الرجلِ ، ثم تَوقَّفَ عن السيرِ بدراجتِهِ خوفًا من إصابةِ الطفلِ إذا ازداد تشبُّثُهُ بالدراجةِ . وأسرعَتِ الأمُّ تمسكُ ابنَها ، ليتركَ الرجلَ يهتمُّ بواجباتِ عملِهِ .

لكنني فوجئْتُ بالرجلِ ينزلُ عن دراجتِهِ ، ويتناولُ الطفلَ من أمِّه ، ويضعُهُ فوقَ مقعدِ الدراجةِ ، ويسيرُ به في دائرةٍ وسطَ مكانِ الانتظار وهو يقولُ للأمِّ ضاحكًا : " عندما كنْتُ صغيرًا ، تمنَّيْتُ كثيرًا ركوبَ مثلِ هذه الدراجةِ . ومن حقِّ ابنِكِ أن لا ينتظرَ مثلي خمسةً وعشرين عامًا ، حتى تتحقَّقَ أمنيتُهُ !! "



لا تستغنوا عن الإطارات القديمة

عندَ الظهرِ ، سألوا الأطفالَ : " ما الذى يُمكِنُ أن تتخيلوه بالرسمِ ، إذا أعطيْناكم عددًا من إطاراتِ السياراتِ المُستغنَى عنها ؟ "

وفى نهايةِ اليومِ ، كانَ الأطفالُ قد رسموا إطارًا مربوطًا به حبلانِ مُعلّقانِ فى فرعِ شجرةٍ ، و قد ركبَ فوقه ولدٌ " تُمَرْجِحُهُ " أختُهُ .

و رسموا عددًا من الإطاراتِ ، كلٌّ منها مُلتصِقٌ بالآخرِ على شكلِ نفقٍ ينحنى عدةَ انحناءاتٍ ، و الأطفالُ يدخلون من ناحيةٍ و يخرجونَ من الناحيةِ الأخرى .

ورسموا عمودًا من الإطاراتِ بعضُها فوقَ بعضٍ ، فأصبحَتْ بئرًا ، ينزلون فيه و يصعدون منه .

ورسموا عددًا من الإطاراتِ تمَّ تثبيتُها واقفةً على الأرضِ ، يبعدُ كلٌّ منها مسافةً عن الآخرِ ، و الأطفالُ يقذفونَ بكرةٍ ، لتمرَّ من خلالِ الإطاراتِ واحدًا بعدَ الآخرِ .

و رسمَ طفلٌ شارعًا امتلأ بماءِ المطرِ ، و الناسُ قد وضعوا الإطاراتِ بجوارِ بعضِها بعرضِ الطريقِ ، ليعبروا فوقها ، فلا تبتلَّ أحذيتُهم .

ورسمَ آخرُ أحدَ النمورِ ، يقفزُ فى السيركِ داخلَ إطارٍ مُشتعِلٍ .

أما أعجبُ الابتكاراتِ ، فكانَتْ لطفلٍ رسمَ شجرةً ، ثمارُها عجلاتٌ من المطاطِ الملوَّنِ !



ثم رسمَ طفلٌ آخرُ عددًا من الإطاراتِ ، كلٌّ منها يرتكزُ على
حافةِ الإطار الذى تحتَهُ ، و نباتاتٍ مُتسلّقةً صفراءَ ، زهورُها حمراءُ ،
تلتفُّ حولَها ، صاعدةً نحو السماءِ ، إلى أن تختفِيَ فى السحابِ !

فتاة فوق عربة حقائب

ما إنْ جلسَتِ الأمُّ على أحدِ مقاعدِ الانتظارِ في مطارِ فرانكفورت الدوليِّ بألمانيا ، تنتظرُ ميعادَ الطائرةِ التاليةِ التي تستأنفُ بها سفرَها إلى أمريكا مع ابنِها و ابنتِها ، حتى أسرعَ الطفلانِ يُنزِلانِ الحقائبَ من فوقِ عربةِ نقلِ الحقائبِ ، التي يستخدمُها المسافرون في المطاراتِ . وركبتَ الأختُ فوقَ العربةِ ، وبدأ الأخُ يدفعُها ، والاثنانِ يتصايحانِ في بهجةٍ .

وفجأةً دفعَ الصبيُّ العربةَ بسرعةٍ وقوةٍ ، وقد تَصوَّرَ أن في هذا نوعًا من المداعبةِ لأختِه ، لكنَّ قدمَ الأختِ انزلقَتْ بين قضبانِ قاعدةِ العربةِ ، فصاحَتْ من الألمِ .

وفزعَ الولدُ وقد أحسَّ أنه ارتكبَ خطأً كبيرًا .



وتوقَّعْتُ أن تصفعَ الأمُّ ابنَها ، أو تزعقَ فيه مُؤَنِّبةً لأنه تَسبَّبَ في إصابةِ أختِه ، أو أنها ، على الأقلِّ ، ستجذبُهُ ليجلسَ بجوارها ويبقى بغيرِ حركةٍ !! ..

لكن شيئًا من هذا لم يحدثْ ، بل وجدْتُ الأمَّ تتصرَّفُ بهدوءٍ ، وهي تنظِّفُ بمنديلٍ ورقيٍّ الخدشَ البسيطَ في ساقِ ابنتِها ، ثم تقولُ لابنِها وهي تدفعُهُ ثانيةً برفقٍ مع أختِه ناحيةَ عربةِ نقلِ الحقائبِ :

" استأنفِ اللعبَ مع أختِكَ ، لكنْ كنْ أكثرَ حذرًا في هذه المرةِ . "

وعادَتْ ضحكاتُ الفتى وأختِه تُجلجِلُ من جديدٍ ، وقد أصبحَ التمتُّعُ بمراقبتِهما تسليةَ معظمِ المُنتظِرينَ .



كلُّهُ غلط .. غلط !؟

أميرة طفلةٌ عُمرها ثلاثُ سنواتٍ ، كثيرًا ما تذهبُ إلى والدتِها وتقولُ : " انظرى يا ماما .. أنا عملتُ هذا العمودَ بالمكعباتِ . " أو تسألُها مثلَ هذا السؤالِ : " لماذا لا يحترقُ عودُ الكبريتِ إلا إذا احتكَّ بالعلبةِ ؟" أو " هل تعرفينَ يا ماما أننى أستطيعُ أن أقفزَ من فوقِ المقعدِ إلى الأرضِ بغيرِ أن أقعَ ؟"

وفى كلِّ هذه الحالاتِ ، لم تكُنِ الأمُّ تُجيبُ بشىءٍ ، بل تتظاهرُ بأنها لم تسمعْ ، وتقولُ لنفسِها : " تكفينى مشاغلُ البيتِ ، فليسَتْ عندى قدرةٌ لأهتمَّ بمثلِ هذه الأشياءِ الصغيرةِ التى تقولُها أميرة أو تعملُها . "

أما إذا سقطَ بعضُ الطعامِ على فستانِ أميرةَ ، أو سقطَ منها كوبٌ على الأرضِ فانكسرَ ، أو وقفَتْ أميرة أمامَ الحوضِ تلعبُ بالماءِ ، فإن الأمَّ تتركُ كلَّ ما يشغلُها ، لتصيحَ بعنفٍ فى الصغيرةِ : " هذا غلط..غلط ! "

وذاتَ صباحٍ ، كانَتْ أميرة تشربُ اللبنَ ، وعندما أرادَتْ أن تضعَ الكوبَ فوقَ المائدةِ ،اهتزَّتْ يدُها ، فانسكبَ اللبنُ . وكعادةِ الأمِّ انطلقَتْ تصيحُ :" غلط .. غلط !!" ، وفوجئَتِ الأمُّ بابنتِها تصيحُ بنفسِ طريقتِها:" كلُّهُ غلط غلط؟!..لا يوجدُ شيءٌ صح صح ؟ ! "